Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518

Volume 5(2), February 2018

Article History

Received/Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/Yayınlanma
8 /12/2017	18 /01/2018	1/02/2018

لغة أَكلوني البراغيثُ بين المنع والإباحة،دراسة تأصيليَّة

د. أَنور شنَّاوي ذياب - جامعة النهرين - العراق

الملخص:

يتضمّن البحث دراسة لغوية تأصيلية لجذور لغة(أكلوني البراغيثُ)،التي منعها أغلب جمهور اللغويين،وحرَّمها الناقدون اللغويون في العصر الحديث جرياً على ما استقر عند أسلافنا،مع أنَّ شيوعها ودورانها على الألسن لايكاد يخفى، ما اضطر القليل من اللغويين إلى فكّ القيد عنها،ثم ما لبث أن دخل مجمع اللغة المصري في هذا الأمر بقصد حسم المسألة وجلاء الغموض،لكن سرعان ما انقسم المجمع على نفسه،بين مؤيدٍ ومعارضٍ،وقد نالت هذه الظاهرة نصيبا في بعض دراسات المحدثين لكنها بحسب وجهة نظرنا كانت قاصرة عن معرفة ماهية هذه اللغة،وكيفية إجازتها بما لايتعارض والقواعد الموضوعة.ونعني بهذه اللغة:وجود فاعلَين لفعلٍ واحدٍ،نحو قولنا: قالوا الناسُ،ومنعوني الناسُ.

يهدف هذا البحث إلى بيان تأصيل هذه اللغة ومدى ضربها في القِدَم في اللغات السامية،وأنَّ جريانها على الألسنة المعاصرة ماهو إلّا امتداد لتلك اللغة القديمة،ويهدف إلى بيان وجودها في التعبير القرآني أيضا،ومصادر التوثيق اللغوي الأخرى،محاولاً فكّ قيدها،وهدم أسوارها،وإطلاق سراحها،بأدلة معتبرة،ورؤية تفسيرية جديدة لوجود فاعلَين لفعلٍ واحدٍ.وهنا تكمن أهمية البحث وتداخله في ميدان التصحيح اللغوي،ومنح المنشئ الحرية الكاملة في استعمال لغة آبائه وأجداده،من دون إشهار سيف المنع بوجهه.

لغة أَكلوني البراغيثُ بين المنع والإباحة،دراسة تأصيليَّة

د. أَنور شنَّاوي ذياب

المقدمة:

أوَّل من سمّى هذه اللغة (أكلوني البراغيثُ)هو الخليل فيما نقله عنه سيبويه،ويسميها ابن مالك لغة(يتعاقبون فيكم ملائكةٌ)فالواو في أكل ويتعاقب كان من المفترض أن تكون فاعلاً،لكن ظهور الفاعِلَين (البراغيث والملائكة) حال دون إعرابها فاعلاً،ولهذا حاول اللغويون إيجاد مخرج لغوي،وتوجيه إعرابي لهذه الواو،أو للألف كما سنرى في قابل البحث،فعمدوا على وصفها بأنَّها علامات تدل على الجمع أو التثنية؛لأنَّهم لم يستطيعوا إنكارَ كم الشواهد السماعية التي وردت بها هذه اللغة،والسماع له المرتبة الأولى في الاستدلال اللغويّ،وحتى يَحلُّوا التعارض مع القاعدة العامة التي تنص على توحيد الفعل مع ذكر الفاعل،فالقاعدة تقضي أن نقول:أكلني البراغيثُ،بالتوحيد،لا الجمع،فكان الرأي في عدِّ هذين الحرفين علامات للدلالة على التثنية والجمع،وهم تابعوا سيبويه في رأيه،ولذا سنتكتفي بالإشارة إلى مواطن مذهبهم،وسنقف على مذهب سيبويه مفصلاً في المحور الثاني،لأنَّه الأساس الذي بُنِيَت عليه آراءُ القدماء[1]،وسنكتفي بمحورين،الأول لبيان رأي المحدثين،والثاني لرؤية البحث.

المحور الأول:آراء المحدثين

سحب مجمعُ اللغة العربية المصريّ قرار لجنة الأصول في المجمع المتضمِّن إجازة لحوق علامة التثنية أوالجمع بالفعل الذي فاعله أو نائب فاعله اسمٌ ظاهرٌ مثنى أو مجموع،وذلك في دورته الخامسة والثلاثين،وكان نص قرار اللجنة((يجوز إذا كان الفاعل اسما ظاهرا مثنى أو مجموعا جمعا لمذكر أو مؤنث،أو ما يدل على أحدهما،أن يلحق الفعل المسند إلى أحدهما علامة التثنية أو علامة الجمع،كما أَلحقَ جميع العرب علامة التأنيث بالفعل المسند إلى المؤنث))[2]،مع اعتراف المجمع بأنه أسلوب شائع ومنتشر على أسلات أقلام الكُتَّاب وأفواه المتكلمين في العصر الحديث،وله تعبيرات لا حصر لها.

إذ أصدرت لجنة الأصول قرارها هذا استنادا إلى بحثٍ قدَّمه الأُستاذُ محمد محيي الدين عبد الحميد عضو المجمع الذي ذكر نحو نيِّفٍ وعشرين شاهداً من القرآن والحديث والشعر الجاهلي وما تلاه ، أثبت فيه هذه اللهجة منسوبة إلى قبائل بعينها وطالبَ المجمعَ بإقرار هذا الأسلوب،ومن أدلته الاتي ساقها:

1- قوله تعالى((وأسروا النجوى الذين ظلموا))[سورةالأنبياء3]فالواو واسم الموصول فاعِلَين.فعدَّ الواو علامة للجمع على رأيه.

[1] ينظر الكشاف للزمخشري ،2\50- 51 ، و شرح المفصل لابن يعيش ، 3\ 145- 147، و ارتشاف الضرب من لسان العرب ،لأبي حيان الأندلسي : 2\ 739،والجنى الداني في حروف المعاني للمرادي :170، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري : 1\478وحاشية الصبان على شرح الأشموني : 2\ 76-87 ، وهمع الهوامع ، للسيوطي : ،187- 189

[2] كتاب في أصول اللغة ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة :2\210

2- قوله تعالى((ثم عَموا وصَمُّوا كثيرٌ منهم))[سورة المائدة72]،فالواوين وكلمة (كثير) فواعل،فَعُدَّت الواوين علامة دالة على التثنية.

3- ماورد في الحديث في صفة السجود((فوقعتا ركبتاه قبل أن تقعا كفّاه))فالألف في وقعتا وفي تقعا علامتان على أنَّ الفاعل مثنى وهما ركبتاه وكفّاه.

4- من الشعر الجاهلي،قول عمرو بن ملقظ

أُلفيتا عيناك عند القفا أولى فأولى لك ذا واقية

فالألف في ألفيتا علامة تدل على تثنية الفاعل وهو عيناك.

5- من العصر الأموي،قول الشاعر

6- نصروك قومي،فاعتزلت بنصرهم ولو أنهم خذلوك كنت ذليلا

فالواو في نصروك علامة تدل على الجمع والفاعل هو قومي

7- إنها لغة لقبائل بعينها مثل: طيّئ وأزد شنوءة.

لكن مؤتمر المجمع الذي له الحق في إقرار القرارات بصيغتها النهائية استمع إلى رأي الأستاذ عباس حسن عضو المجمع الذي رأى أن ماجاء به الأُستاذ محمد محيي الدين من شواهد أوَّلها النحويون،وهي مخالفة لقاعدة ثابتة عندهم ركينة،وهي إفراد الفعل مع الفاعل الظاهر مثنى كان أو جمعاً في بحثه المعنون (بعض الشوائب في النحو)[3].

وبعد أكثر من ربع قرنٍ عاد المجمعُ في دورته الثانية والستين لمناقشة ما أُجِّل،وذلك استناداً إلى بحثٍ نفيسٍ للدكتور أحمد علم الدين الجندي.فصَّل فيه القول أيّما تفصيلٍ،مضيفا على تلكم الشواهد التي أوردها الأستاذُ محمد محيي الدين العشرات من الآيات القرآنية والشواهد الشعرية وأقوال العلماء،متناولاً تأويل العلماء لما ظنُّوه مخالفاً للقاعدة،وهي إفراد الفعل،ونذكر منها:

1- قراءة الحسن البصري قوله تعالى((يوم يُدْعَوا كلُّ أُناسٍ بإمامهم))[الإسراء:71،]فالواو في يدعوا حرفٌ دالٌ على الجمع،و(كلُّ) فاعل على لهجة طيّئ.

2- الحديث الشريف((فغضب عمران حتى احمرتا عيناه))فالألف في احمرتا علامة التثنية والفاعل عيناه.

3- وجود هذه الظاهرة في العبرية،إذ جاء في سفر المزامير5\1 ما ترجمته الحرفية(لايقومون الأشرار بالعدل)،فالواو علامة تدل على أن الفاعل جمع وهو الأشرار.

[3] كتاب في أصول اللغة : 2\ 209 الهامش ، و 4\ 687

4- وجودها في الحبشية،كما جاء في قوانين الملوك(ويلبسون الزّهاد ملابس خشنة من الصوف))فالواو تدل على الجمع والفاعل هم الزهاد.

5- وجودها في الآرامية نحو ما جاء في إنجيل متى5\1ماترجمته الحرفية(لئلا يزنوا الآخرون بامرأتك)فالواو في يزنوا علامةٌ دالةٌ على الجمع والفاعل هو الآخرون.

وقد بيّن أنَّ وجود هذه اللهجة في اللغات السامية ما يدل على أنَّ المطابقة هي الأصل والإفراد فرعٌ من ذاك الأصل[4]،وقد أجاز مجلسُ المجمع هذا الأسلوب واعتمد قراره الآتي: ((يجوز إلحاق علامة التثنية أو الجمع بالفعل الذي فاعله أو نائب فاعله اسمٌ ظاهرٌ مثنى أو جمع))[5]،وأوصى مؤتمر المجمع بطبع هذا القرار وردَّ القرارَ إلى اللجنة[6]،ولم يصوِّت المؤتمرُ بقبول هذا القرار واكتفى بتوصيته للجنة بطباعته.

وكما لايخفى أنَّ القرار المجمعي يجب أن يوافق عليه مؤتمرُ المجمع الذي يشارك فيه مختلف الأعضاء من كثيرٍ من البلدان،ولايُعَدُّ قراراً مجمعياً حتى لو نال موافقةَ اللجنة ومجلسَ المؤتمر.

وقد ذهب غيرُ واحدٍ من المحدثين إلى إجازة هذا الأسلوب لكنهم اختلفوا في توجيهه تارة،ولم يشيروا مفصلاً إلى أسبقية مجمع القاهرة وبحوث السادة الأعضاء تارة أخرى،يقول الدكتور عبده الراجحي عن نسبة هذه اللهجة لأزد شنوءة وطيّئ وبلحارث بن كعب((وهم ينسبون هذه اللجة إلى قبائل طيّئ وأزد شنوءة وبلحارث بن كعب.أما طيّئ فقبيلة يمنية تُنسب إلى كهلان،وقد ذكرنا أنها تسكن شمال الحجاز حيث جبلاها المشهوران أجأ وسلمى.وأما أزد شنوءة ففرع من الأزد اليمنيةوكانت تنزل في سروات الحجاز الجنوبية،وبلحارث في شمال اليمن،ومن الجدير بالذكر أن هذه الظاهرة من مطابقة الفعل لفاعله أو نائبه هي القاعدة المطردة الآن في العبرية Kativa hayyiladiem كتبوا الأولاد))[7].

ورجَّحَ الدكتورُ الراجحيُّ ما ذهب إليه الدكتورُ حسن عون في عدِّ هذه اللهجة مرحلة من مراحل التطور اللغوية في حياة العربية،وهي أسبق من القاعدة العامة المعروفة الآن وهي إفراد الفعل حينما يتقدم الفاعل الجمع،فالمعقول أن يُجْمَع الفعل مع الجمع ويُفْرَد مع المفرد[8].

المبحث الثاني: رؤية البحث

[4] كتاب في أصول اللغة : 4\ 690- 691
[5] كتاب في أصول اللغة : 4\ 632
[6] واعترض عليه الأستاذ محمد شوقي أمين لمخالفته قواعد النحو ، وردَّ عليه الدكتور الجندي ، كتاب في أصول اللغة : 4\632 الهامش
[7] اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، د . عبده الراجحي :222
[8] اللهجات العربية في القراءات القرآنية : 222، وينظر رأي د. حسن عون في اللغة والنحو:58- 61

وللبحث وجهةُ نظرٍ مخالفة لتفسير هذه الظاهرة اللغوية تستند لما نتبنّاه من مفهوم العقلانيَّة اللغويَّة التي نُعَرِّفها بأنها: فهم اللغة فهماً عقلانياً بمراعاة الزمان والمكان، فالزمان والمكان لهما أثر كبير في فهم أيَّة ظاهرة لغوية،ولهذه العقلانية أُسس تستند إليها في تفسير أيَّة ظاهرة لغوية وفهمها،وهي:

الأساس الأول:وجود مسوّغ لغوي تراثي،كأن يكون سماعاً أو قياساً،أو يتعلق بناموس اللغة كالتطور الدلالي.

الأساس الثاني:الحاجة،وهي أساس قوي يجب أن يكون حاضراً في فهمنا للغة،لأنَّ اللغة بنت عصرها ولايجوز حبسها في داخل جدران الكتب النحوية المعجمات اللغوية.

الأساس الثالث: مراعاة التحديات الكبيرة التي تواجه اللغة سواء من الخارج عبر الهجوم الكبير عليها ووصفها بعدم قدرتها على مواكبة التقدم الحضاري والمعرفي أو من الداخل وهو ما تعانيه من أبنائها من هجرٍ وبغضٍ قد يصل في بعض الأحيان إلى ازدرائها.

الأساس الرابع:مراعاة تطور العلوم والمعارف والتقدم الحضاري غير المنقطع.

الأساس الخامس:جعل القرائن المحيطة بالنص وفي داخله عاملاً رئيساً في تحديد دلالة أيّ استعمال،ويجب عدم نزعه منه.

الأساس السادس:الإفادة من شيوع الاستعمال وجعله عاملاً مساعداً وداعماً أساسيّاً في قبول أيّ استعمال متداول،ولا نجعله معياراً وحيداً للقبول.

الأساس السابع:الإفادة من النظريات الحديثة في فهم اللغة كالتداولية وغيرها.

الأساس الثامن:إن معالجتنا لاستعمالٍ ما وإطلاق الحكم عليه لايعني وضع قاعدة عامة،بقدر بيان الحكم الخاص بالاستعمال نفسه،إلّا أن يُنَصّ على ذلك.

وحين التدقيق في كلّ الشواهد التي سِيقت سواء لمنع هذه اللهجة أو إجازتها وجدنا أنَّها على صورتين،ويجب أن يُلتفت إليهما في التوجيه الإعرابي والدلالي ولايعاملان معاملة واحدة.

الصورة الأولى:ما كان فاعله اسماً موصولاً،كقوله تعالى((وأسروا النجوى الذين ظلموا))فالفاعل هنا اسم موصول،وليس اسماً ظاهراً.

الصورة الثانية: ماكان فاعله اسماً ظاهراً كقوله تعالى((ثم عموا وصموا كثيرٌ منهم))وهنا الفاعل اسم ظاهر.وسنبين الفرق بينهما.

وراجع البحثُ في شأن هذه المسألة الكتاب الأهم في النحو العربي،وهو كتاب سيبويه لبيان رأي المؤسس الأول للنحو العربي،فوجدنا أنَّه وصف هذه اللغة ب(القليلة)،حين قال((واعلم أن من العرب من يقول: ضربوني قومُك،وضربابي أخواك،فشبهوا هذه التاء التي يظهرونها في (قالت فلانة)وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامةً كما جعلوا للمؤنث،وهي قليلة))[9].ونقل سيبويه رأي يونس في أنَّ الفاعل الظاهر يُعرب بدلاً[10]وذلك في قوله تعالى:((وأسروا النجوى الذين ظلموا)).

ووازن الخليلُ بين هذه اللهجة مع تثنية الوصف المضاف وجمعه،نحو:مررتُ برجلٍ حَسَنين أبواه،فيقول((فيقول الخليل رحمه الله:مَنْ قال أكلوني البراغيثُ أجرى هذا على أوله فقال مررتُ برجلٍ حسَنين أبواه،ومررتُ بقومٍ قُرَشيّين آباؤهم،وكذلك أفْعَل نحو: أعْوَرَ وأحْمَرَ،تقول: مررتُ برجلٍ أعْوَرَ وأحْمَرَ أبواه.فإن ثنّيتَ قلتَ: مررتُ برجلٍ أحمرانِ أبواه تجعله اسما.ومنْ قال : أكلوني البراغيثُ،قلتَ:على حدّ قوله: مررتُ برجلٍ أعورَيْن أبواه))[11].

فنلحظ عدم تخطئة المؤسِّسين الأوائل لهذه اللهجة،ونجد ذهابهم إلى تفسير هذه الظاهرة وذلك بعقد مشابهة بينها وبين علامة التأنيث تارةً،وإعراب الضمير بدلاً تارةً أخرى،فضلاً عن الموازنة لتي عقدها الخليلُ التي توحي بقبول هذه اللجة والاعتماد على وصفها كما هي،وهذا من أسس المنهج الوصفي التي نلحظها في معالجتهم هذه الظاهرة.

وهنا اصطدم المجمعُ المصري بالقواعد القياسية الموضوعة،وهي شائعة كينة كما سمّاها الأستاذ عباس حسن،ولا أعلم كيف جاز للمجمع رفضها،وعدم إجازتها وهو الذي أجاز على الشاهد والشاهدين بَلْه القياس على القليل ووجود النظير وغيرهما[12]،بل في بعض الأحيان جعل الشيوع معيارا لتصويب هذا الاستعمال أو ذاك[13].

إنَّ وصف سيبويه لهذه اللهجة ب(القليلة) لا يُعَدّ تخطئة،إذ هي ليست خروجاً عن الفصيح،بل إنَّ الغريب هو من أسلم كلام العرب[14]، فكيف بنا والقليل؟

---

[9] الكتاب : 2\ 40

[10] الكتاب : 2\ 41

[11] الكتاب :2\ 41

[12] نحو إجازته التبرير بمعنى التسويغ ، كتاب في أصول اللغة ، 1، 235، وأُمسيَّة وأُمسيَة ، القرارات المجمعية ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة :223، والنزيف بمعنى النزف ،المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، نزف :914

[13] نحو إجازته النسب لكلمة وحدة على وَحدويّ ، نسبة إلى من ينادي بوحدة الشعوب العربية على اختلاف أصقاعها ، ووحدويَّة تعبيراً عن هذا النزوع القومي ،كتاب في أُصول اللغة : 3\97

وبحسب ما تقدم لانرى ماذهب إليه الدكتور علي أبو المكارم في أنَّ التطابق بين الفعل والفاعل المتعدّد يُعَدُّ من أبرز صور الاضطراب في الخلط بين مستوى اللغة ومستوى اللهجات صحيحاً،فهو خلاف العقلانية اللغوية،فسيبويه لم يخطِّئ هذه اللهجة،ولم يقع بالاضطراب بقدر وصفه لها،وأنَّها لقبائل معينة،وطبيعي أن يجهل سيبويه وغيرُه من القدماء أنَّها موجودة في اللغات السامية،وذلك لعدم اطلاعهم عليها ما أدى إلى وقوعهم في بعض الأحكام غير الصحيحة[15]،فسيبويه حينما عرض هذه المسألة لم يرد التقعيدبقدر إرادته وصف اللهجة ب(القلّة)فالعلة في عدم التطابق ذكرها سيبويه،بقوله:((وإنما قالت العرب: قال قومُك وقال أبواك؛لأنَّهم اكتفوا بما أظهروا عن أن يقولوا: قالا أبواك،وقالوا قومُك فحذفوا ذلك اكتفاءً بما أظهروا))[16]،فنلحظ إدراك سيبويه عبر النص أنَّ الأصل هو الذكر ،وللاختصار ولأمن اللبس وهو من القرائن المهمة في صحة الأساليب،عمدت العربُ إلى الحذف،ومن الذين يذكرونها هم (قلة)إذا ما قيسوا بالذين يحذفون،فالفعل لايحتاج إلى علامة لفهم الكلام[17].

فقول العرب : قالت هندٌ،مشابه لقول بعضهم:أكلوني البراغيثُ بحسب ما ذكره سيبويه،وهذه التاء لا محل لها من الإعراب،وهي تدل على التأنيث حَسْب،فكلُّ كلام سيبويه كان منصبّاً على تقديم الفعل وتأخير الفاعل،حين عرض لهذه اللهجة،ولم يقصد حال تقدُّم الفاعل على الفعل،فهنا لابدّ من المطابقة،فقولنا: رحل المسافران،يجوز على لهجة بعضهم أن نقول فيه: رحلا المسافران،وتكون الألف لامحل لها من الإعراب وهي مجرد علامة للتثنية[18]،ولايجوز أن نقول: المسافران رحل؛لأنَّه لايتناسب والذائقة اللغوية،ويؤدي إلى اللبس،وهو خلاف طريقة العرب في كلامهم.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه : مافائدة وجود علامة للتثنية والجمع والفاعل هو مثنى ومجموع ظاهرا؟فذهاب سيبويه إلى أنَّ الضمائر في: قالوا قومُك وقالا أخواك،إنَّما هي علامات للتثية حالها حال علامة التأنيث في قالت فلانة،لايصمد أمام النقد،وهو ماتابعه عليه الدكتور محمد محيي الدين والدكتور الجندي والبقية من المحدثين،فالعقلانية اللغوية ترفض هذا التخريج لهذه الضمائر،إذ لافائدة تذكر من هذه الزيادة والتثنية ظاهرة في الفاعل،وكذلك الجمع،ونرى أنَّ في زيادتها فرقاً دلالياً واضحاً وهو إرادة (التوكيد)،فهي ليست إشارات حَسْب كما ذهب إلى ذلك الدكتور إبراهيم السامرائي حين ساوى بين قولنا:قامت هند،الرجال حضروا[19]إذ نرى فرقاً دلاليا بينهما؛لأنَّ الأُولى تكون التاء للتأنيث في حين تكون الثانية ليست للإشارة بل هي من صحة الأسلوب أصلاً،إذ لايجوز أن نقول: الرجل حضروا،حتى لو بفاصل طويل،أما قولنا

---

[14] حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث ، د. محمد ضاري حمّادي:195

[15] الدراسات اللغوية عند العرب ، د. محمد حسين آل ياسين:478

[16] الكتاب:2\36-37

[17] بناء الجملة العربية ، د . عبد اللطيف حماسة:131

[18] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب :1\478 ، والفعل زمانه وأبنيته ، د .إبراهيم السامرائي :218

[19] الفعل زمانه وأبنيته : 218

قامت هندٌ،فيجوز حذف التاء فيها بفاصل،وإنْ ورد في بعض اللجات حذفها من دون فاصل[20]فالقول الأول يدخل من باب التأنيث والتذكير،والثاني يدخل من باب المطابقة،وقد فرق بينهما سيبويه تفرقة دقيقة حين قال((فأن بدأت بالاسم قلتَ:نساؤك قلنَ ذاك،كما قلتَ:قومُك قالوا ذاك،وتقول جاريتاك قالتا كما تقول:أبواك قالا:لأن في قلنَ وقالتا إضمارا كما كان في قالا وقالوا.وإذا قلتَ:ذهبت جاريتاك أو جاءت نساؤك،فليس في الفعل إضمارٌ،ففصلوا بينهما في التأنيث والتذكير،ولم يفصلوا بينهما في التثنية والجمع.وإنما جاءوا بالتاء للتأنيث لأنها ليست علامة إضمار كالواو والألف،وإنما هي كهاء التانيث في طلحة،وليست باسم))[21]،وعلل حذف التاء لأنَّهم صار عندهم إظهار المؤنث يكفيهم عن ذكرهم التاء،كما كفاهم الجميع والاثنان حين أظهروهم عن الواو والألف.

فسيبويه واضح في جعله معيار أمن اللبس معياراً للحذف،فضلاً عن دوران كلامه حين يتقدم الفعل على الفاعل حصراً وفي الوقت نفسه يدور كلامه في الاستحباب والحَسَن في الكلام.فكما حذفت التاء من الفعل،حَسُنَ حَذْفُ علامات التثنية والجمع من الفعل كذلك،وليس سيبويه هنا يمانع من استعماله،بل يحاول إيجاد علة الحذف،وواضح من رؤيته أنه موقن بأصالة التثنية والجمع،وأنَّ الحذف مرحلة لاحقة مستحسنة في الكلام لاغير.

فعلامة التثنية أو الجمع إذا كانت في الفعل المتقدم،فيستحسن حذفها كما حذفت التاء في: قامت هند إذا طال الكلام،أما إذا تأخر فلم يذكر سيبويه أنَّهما بمنزلة واحدة،ولم يذكر حذفه،فضلاً عن استحسانه له.

وبحسب ما تقدم نرى أنَّ سيبويه عدّها حروفاً دالة على التثنية والجمع ومجيء الحروف لإفادة هذه الدلالة ولاتجيء اعتباطاً،بل لغرض مقصود يريده المتكلم،كما جاء بالتاء للتأنيث،والبحث لايرى أنَّهما مجرد علامة للدلة على العدد حَسْب،أو هي إشارات،بل نرى أنَّ توظيفهما في الاستعمال المعاصر يقصد بهما التوكيد)بما يقتضيه المقام،ويُجاء به بحسب رغبة المنشئ لزيادة التوكيد في خطابه،وأسلوب التوكيد في من الأفعال الإنجازية،وله مساحة واسعة يمتلكها المنشئ،وهو حرٌ في ذلك مادام مراعياً القواعد اللغوية.

ولبيان ما نذهب إليه سنذكر بعض الأمثلة لنجعل الأسلوبية تحدد لنا الفارق بين وجود هذين الحرفين وعدمها،ونخص بها مجيء الفاعل ظاهراً وليس اسماً موصولاً،فلو قلنا: سألوني الناسُ عنك،يختلف دلالياً عن قولنا:سألني الناسُ،فالأُولى فيها توكيد أكثر،أي تأكيد السؤال،وحين نقول:ظلموني الناس[22]فيه دلالة في كثرة الظلم وتأكيده أكثر من قولنا:ظلمني الناسُ،ولو قلنا اقتتلا الطرفان،فيه دلالة على تأكيد الصدام بينهما وفيه معنى زيادة قوة الصدام وحِدَّته أكثر من

[20] الكتاب: 2 \38

[21] الكتاب : 2 \ 37- 38

[22] وهو المثال الذي استشهد به الدكتور رمضان عبد التواب ، فصول في فقه العربية : 100

قولنا :اقتتل الطرفان،وحين نقول:حكولي الناسُ عنك كلاماً ،فيه عمق معنى التوكيد وكثرته،أكثر من قولنا:حكى لي الناسُ عنك كلاما.

فاختلاف النظم لامحالة يفضي إلى اختلاف المعنى وهذا ما بسط فيه القول السيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابه(دلائل الإعجاز) وشرحه وبينه غير واحد من العلماء في دراسات كثيرة،إذ لانظم يشابه نظماً إلّا أن يكون تكراراً له[23]،وهنا التكرار غير متحصل فوجود الزيادة حتى لو كانت حرفا تنبئ بتغير المعنى،لامحالة،فجملة: النصرُ حليفُنا لايمكن أن تؤدي معناها إلّا الجملة نفسها وهي: النصرُ حليفُنا،ففي حالة الزيادة أو النقصان أو حتى التغيير في الترتيب سيتبعه لامحالة تغير في المعنى.

فإذا ضممنا إلى ذلك مقولة الزيادة في المبنى زيادة في المعنى–مع أنَّها غير مطردة–نحصل على نتيجة مفادها صحة هذا الاستعمال بزيادة معنى التوكيد فيه،وإعراب هذين الحرفين حرفي توكيد لامحل لهما من الإعراب،كإعرابنا تاء التأنيث الساكنة،إذ نرى أنَّ توجيهينا أقرب للعقلانية اللغوية من توجيه سيبويه ومن تابعه من السادة أعضاء المجمع المصري ومجلسه ولجنته والباحثين المحدثين في عَدِّها مجرد علامة للتأنيث والجمع؛لأنَّهما سيكونان بلا فائدة،إذ في قولنا :قامَ المسافران،وقامَ المسافرون دلالة على التثنية والجمع،ولا حاجة بنا إلى استعمال الحرفين،أما لو استعملناهما للتوكيد فسيكون فيهما فائدة ومنفعة بالمعنى وهو توكيده.[24].

ويمكننا بحسب فهمنا هذا أن نوجه به مجيء هذين الحرفين التوكيديّين في القرآن أيضاً بحسب سياق توظيفهما،وسنأخذ الآية التي استشهد بها كثر للدلالة على صحة استعمال هذه اللهجة ولكنَّهم لم يلتفتوا للفارق الدلاليّ فيها،قال تعالى في معرض حديثه عن بني إسرائيل وأخذ ميثاق منهم وإرسال رسل إليهم وكيفيَّة تعاملهم السيّئ مع الرسل فمرة يقتلونهم ومرة يكذبون:((وحسبوا ألّا تكون فتنةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثم تاب اللهُ عليهم ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كثيرٌمنهم والله بصيرٌ بما يعملون))[المائدة 71]ففي المرة الأُولى عموا وصموا جميعاً ولكن بعد أن تاب اللهُ عليهم عم وصمّ كثيرٌ منهم،فلو قال تعالى:ثُمَّ عم وصمّ كثيرٌ منهم لكان صواباً،لكنه أراد بيان زيادة عميهم وصمّهم بعد التوبة فهم لم يتّعظوا بما أُرسل إليهم ولم يفيدوا من رحمته حين تاب الله تعالى عنهم ومنحهم فرصة لطاعته،فاستعمل الحرف (الواو) لزيادة توكيد غيهم وابتعادهم عن رحمة الله،ولايمكننا بأيّ حال من الأحوال عدّ هذه (الواو)علامة دالة على الجمع فقط إذ ستكون لافائدة

[23] ينظر تفصيل ذلك إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، د . نصر حامد أبو زيد :149– 183

[24] إن إضافة هذه الحروف لبيان للتوكيد والمبالغة طريقة شائعة في العاميات العربية ، فالموقف اللغوي يفرض على المستعمل في بعض الأحيان إضافتها في الاستعمال العامي للمبالغة والتوكيد ، ففي العراق نجدها ظاهرة واضحة لأيّ متابعٍ ، فيقال : قتلوني جماعتي ، وسرقوني الحراميَّة ، وشرَّبوني أهلك ، فجماعتي والحرامية وأهلك كلها فواعل ، ويُجاء بها لبيان قوة الموقف ، وفيها دلالة على عمق هذه اللغة وضربها في القِدَم.

منها أَلبتَّة.وبهذا الفهم المتأتّي من طبيعة اللغة والفهم العقلانيّ لها سنبتعد من التأويلات الكثيرة التي دارت حول هذه الآية وقد ذكرها الدكتور الجندي[25] في بحثه وهي:

1- كثير بدل من الواو.
2- كثير مبتدأ مؤخر وجملة ثم عموا وصمّوا خبر مقدم.
3- كثير خبر لمبتدأ محذوف والتقدير:العمى والصم كثير.
4- وهو توجيه لا تأويل فيه: بأن نجعل الواو علامة للجمع وتجعل:(كثير) فاعلاً.

ومثل هذا التوجيه يمكننا توجيه قراءة طلحة بن مصرف الذي نقلها الدكتور الجندي في عَدّ الواو علامة وهو ما جاء في البحر المحيط من قراءة قوله تعالى ((قد أفلحوا المؤمنون))[المؤمنون:1]قال:قال عيسى بن عمر:سمعتُ طلحةَ يقرأ:قد أفلحوا المؤمنون،فقلتُ له أتلحن؟فردّ عليه بثقة واعتزاز :نعم كما لحن أصحابي،فعلق على هذه الرواية الدكتور الجندي:((يريد مرجوعه في القراءة إلى ما روى وليس بلحن؛لأنَّه على لغة طيّئ وأخواتها))[26]لكن عدّ هذه الواو علامة للجمع لايصمد قبالة النقد،فالمؤمنون جمع ولا حاجة للقرآن أن ينبّه على أنَّها جمع،ونرى أنَّ السورة في معرض تعداد صفات المؤمنين وقد قرأ طلحةُ بزيادة الواو لتوكيد معنى الفلاح للمؤمنين المذكورة صفاتهم تباعاً في السورة،فهم مفلحون لأنَّهم في صلاتهم خاشعون وعن اللغو معرضون وللزكاة فاعلون ولفروجهم حافظون،وإلى نهاية الصفات.وكذلك الحديث الشريف((فغضب عمران حتى احمرتا عيناه))فهو يريد زيادة توكيد احمرار عينيه،وهذا يتأتّى بزيادة الألف لتقوية المعنى أكثر لو أنَّه قال: احمرت عيناه.

أمَّا الصورة الثانية التي يأتي فيها الفاعل اسماً موصولاً وهو ما عَدَّه القدماء والمحدثين على أنَّه من لغة(أكلوني البراغيثُ)،فلا يراه البحث منها وإنَّما الذي أغراهم بها هو اهتمامهم بالإعراب،وهو وجود فاعل ضمير ووجود اسم موصول في مكان الفاعل،كما في قوله تعالى((وأسروا النجوى الذين ظلموا))فالواو هو الفاعل،والذين تدل على الفاعلية أيضا،وهذا ما دفعهم في عَدِّ كلّ الصور التي جاء فيها الفاعل الثاني اسماً موصولاً من من هذه اللغة،والذي نراه صواباً هو عدم عَدِّها منها،بل هي كما إعربها يونس فيما نقله عنه سيبويه بدل من الواو،فالبدل يُبَيِّن نوع المبدل عنه،فمن هم الذين أسروا النجوى؟الجواب :الذين ظلموا،فلا يمكننا عَدّ هذه الواو علامة على رأي سيبويه ومن تابعه،ولا يمكننا عَدَّها للتوكيد كما ذهبنا إليه في الصورة الأولى.وعلى هذا التوجيه يسري على بقية الشواهد التي سِيقت.

إنَّ أصاله هذا الأُسلوب في اللغات الساميَّة وما جاء منه من الشواهد القرآنيَّة والحديثيَّة والشعريَّة الفصحى،وشيوعه بين العامة والخاصة لدليلٌ كبيرٌ على صحته اللغويَّة،وأنَّ ما اقترحه السادة أعضاء المجمع في إجازة هذا الأسلوب لهو خير

[25] كتاب في أصول اللغة : 4 \ 694
[26] كتاب في أصول اللغة :4 \ 688

رأي في وقتٍ نحن بأمس الحاجة إليه،فهو من صميم العقلانيَّة اللغويَّة،ولكن نرى ضرورة التفريق بين الصورتين التي جيء بهما هذا الاستعمال وأن لا نعاملهما معاملة واحدة،ونترك للمنشئ الحرية في استعماله من عدمه،ونوسِّع له خيارات القول وسُبُل التعبير،في ظلِّ الضغط الهائل الذي تتعرض له لغتنا العربية،إذ إنَّ إحياء تلك الأساليب وتوجيهها بما يتناسب والفهم الحديث للغة ومتماهياً مع المناهج الحديثة يعطي لغتنا منعةً وقوةً أكثر ممَّا هي عليه ويزيد من سور حمايتها من الوافد الجديد،ويحصن دفاعاتها من الصراع التي تخوضه في ظلِّ نظام العولمة الجديد،وإنَّ ابتغاء الصحَّة في الأساليب للتسهيل على المنشين وعدم وضع القيود على أقلامهم ليس بالأمر الجديد إذ هذا ما أراده الشهاب الخفاجي حين اعترض على تخطئة الحريريّ لهذا الأسلوب[27]، فقد كان الشهاب الخفاجي ينشد الخطأ والصواب،ولاينشد في منهجه الفصاحة[28].

ولما تقدَّم أدعو المجامع اللغويَّة كافة إلى إجازة هذا الأسلوب بشكلٍ صريحٍ وواضحٍ وأن لا تخاف من تشتّت القواعد لأنَّ هذا سيزيد من الثروة اللغويَّة ويُعَدِّد خيارات التعبير للمنشئين،ويمكننا عبر ما تقدَّم أن نوجّه قولنا:الرجال قاموا،وقولنا: الرجال جاءت،التي دعا عبرهما الدكتور كمال محمد بشر إلى أنَّ موضوع المطابقة يحتاج إلى استقراء أوفى ممَّا فعلوا حتى تتبيَّن حقيقة المطابقة مع جمع التكسير بصورة علمية جادة[29].

إنَّ الإفادة من الاختلافات النحوية بين اللغويين يجب أن تكون عاملاً مساعداً في تذليل الصعوبات والعقبات أمام مستعمل اللغة في العصر الحديث،فهي ثروة لغويَّة مهمة،ولاسيَّما أنَّها من صميم اللغة،وليست مجتلبة من خارجها،فهذه الإفادة تكون لنا مدخلاً لزيادة الأساليب اللغويَّة لمواجهة التحديات المعاصرة،وقد بانَ لنا عبر تطوافنا في لغة أكلوني البراغيث أنَّها لغةٌ لها من القوّة في الاستعمال القديم ما جعلها تستمر إلى الآن على ألسنة الخاصة والعامة.

ولاحظنا غياب أثر المجمع القاهري في كتابات بعض الباحثين ممن تناولوا هذه الظاهرة،وهذا لايُعد من أسس المنهج العلمي،إذ إنَّ في قرارات المجامع ومحاضر جلساتها الكثير من البحوث والقرارات والتنبيهات التي يجب على الباحثين عدم تجاهلها،لأنَّها بحوثٌ رصينةٌ صادرة من هيئة علمية معتبرة، يجب الرجوع إليها في كل ما يصدر في شأن العربية،سواء وافقناها فيما تذهب إليه أو ل

[27] ينظر تخطئة الحريري في درة الغواص : 108- 109،ووصفها ب (الضعيفة)
[28] محاضرات عن الأخطاء اللغوية الشائعة ، محمد علي النجار : 12.
[29] دراسات في علم اللغة ، د. كمال محمد بشر :229

قائمة المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

1-ارتشاف الضرب من لسان العرب،لأبي حيان الأندلسي،تحقيق د.رجب عثمان محمد،مراجعة د.رمضان عبد التواب،ط1، 1998 م.

2-إشكاليات القراءة وآليات التأويل،د.نصر حامد أبو زيد،المركز الثقافي العربي،المغرب،ط9، 2012م.

3-بناء الجملة العربية،د.عبد اللطيف حماسة،دار غريب للطباعة والنشر،القاهرة(د.ط)2003م.

4-الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي،ت طه محسن، ساعدت جامعة بغداد على طبعه(د،ط).

5-حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك،محمد بن علي الصبّان،د.عبد الحميد الهنداوي،المكتبة العصرية،بيروت،2009م.

6-حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث،د.محمد ضاري حمادي،دار الرشيد للنشر،بغداد،1981م.

7-دراسات في علم اللغة،د.كمال محمد بشر،دار المعارف،مصر،ط9، 1986م.

8-درّة الغواص في أوهام الخواص،أبو محمد الحريري،ت عرفات مطرجي،مؤسسة الكتب الثقافية،بيروت،ط1، 1998م.

9-شرح المفصّل لابن يعيش،ت أحمد السيد سيّد أحمد،المكتبة التوفيقية،القاهرة،(ط،د).

10-فصول في فقه العربية،د.رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط6، 1999م.

11-الفعل زمانه وأبنيته،د.إبراهيم السامرائي،؟؟؟

12-القرارات المجمعية في الألفاظ والأساليب من 1934-1987،أعدها وراجعها محمد شوقي أمين،وإبراهيم ترزي،مجمع اللغة العربية،القاهرة(د،ط)،1989م.

13-الكتاب،لسيبويه،ت عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط3، 1988م.

14-كتاب في أصول اللغة،مجمع اللغة المصري،مجموعة أجزاء.

15-الكشـــاف،محمود جـــار الله الزمخشـــري،،رتبه وصـــحّحه مصـــطفى حســـين أحمد،المكتبـــة التجاريـــة الكبرى،القاهلرة،(د.ط).

16-اللغة والنحو دراسات تاريخية وتحليلية ومقارنة،د.حسن عون،مطبعة رويال،الإسكندرية،ط1، 1955م.

17-محاضرات عن الأخطاء اللغوية الشائعة،محمد علي النجّار،القسم الثاني،(د.ط)،1960م.

18-المعجم الوسيط،مجمع اللغة المصري،دار الدعوة،(ط.د)1988م.

19-مغـــني اللبيـــب عـــن كتـــب الأعاريـــب،لابن هشـــام الأنصـــاري،،ت د.مـــازن المبـــارك وآخرون،مؤسســـة الصادق،طهران،(د.ط).

20-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،للسيوطي،ت أحمد شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، 1998م.

The language had me fleas between prevention

and disclosure study tasilet

Dr Anwar Shinaoui Diab –Al Nahrain University -College of rights

Summary:

search includes linguistic study tasilet the roots of language (took me fleas), which prevented most linguists audience, and critics of modern linguists campus following Settled upon our ancestors, with that than swab the tongue though barely hidden, what few linguists to unlock them, mushroomed Egyptian language entered into it in order to resolve the issue and clearly the mystery, but soon split the same compound, pros and cons, and simmer in its decisions , Having passed its Hall returned and cancelled this decision, and refer new old constraint language grant freedom and entire jaw, this refers to the language: active presence to do one, as saying: they told people, and people stopped me. This research aims at consolidating statement of this language and over multiplied by foot in Semitic, and ponding on contemporary tongues is only an extension of that old language, and is intended to indicate their presence in the Quranic expression too, and other documentation sources, trying to untie.